مختصر خطبة صلاة الجمعة 10/2/2023 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الضراعة لله وغوث الملهوفين)

الهزة والرجفة والزلزلة التي لحقت بالبلاد والعباد وتتابع المحن والشدائد، تدعو المؤمن إلى أمرين فيهما النجاة في الدارين، الضراعة لله وغوث الملهوف من عباد الله.

أما الضراعة لله فبالتذلل له والتوسل إليه والتمسكن والتوبة بين يديه والعود إليه وتصحيح ما سلف من أخطاء.

وأما غوث الملهوفين فببذل المال والجهد والكلمة الحانية المواسية.

فمن صور الضراعة لله: يصف القرآن الكريم أحوال الأنبياء عندما تنزل بهم الشَّدائد والأزمات بأنَّهم يلجؤون إلى الله يتضرعون، ويُقبلون عليه، ويجأرون بالدُّعاء والتَّوبة والبكاء، فقال عن سيِّدنا يونس عليه السلام لَمَّا كان في بطن الحوت: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:87]. قال ابن كثير في تفسيره: (﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا كانوا في الشَّدائد ودَعَونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعَوا بهذا الدُّعاء في حال البلاء، فقد جاء التَّرغيب في الدُّعاء به عن سيِّد الأنبياء صلى الله عليه وسلم).

ومن صور إغاثة الملهوف من عباد الله: ما روته كتب التاريخ والسير أن قحطاً وشدة أصابت الناس زمن عمر فعس عمر في المدينة ذات ليلة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم ير سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السُؤَّال سألوا فلم يعطَوا فقطعوا السؤال، فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد. فكتب إليه عمرو بن العاص: «لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص أما بعد: فيا لبيك، ثم يا لبيك، وقد بعثت إليك بعيرٍ أولها عندك وآخرها عندي. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فبعث إليه بعيرٍ عظيمة فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضاً، فوزعها عمر على الناس.

الضراعة لله أوجب الواجبات في هذه الأوقات؛ نصحح ما مضى ونستدرك ما فات، وإغاثة الملهوف وإعانة المكروب من آكد علائم الإيمان، وضرورات الإحسان، في هذه الساعات.

فيا رجال اللَّيل، افزعوا إلى الله في صلاتكم باللَّيل ليرحم الله هذه الأمة، فإنَّ سهام اللَّيل لا تُخْطئ، ويا أهل الصَّدقات، ابذلوا لله صدقاتكم وأروا الله هباتكم، ويا رجال الله، اجأروا إلى الله بالدُّعاء أن يزيل الغمَّة عن البلاد والعباد، ويا أهل الذِّكر، ويا أهل القرآن، ويا أهل الصَّوم، ويا أهل مجالس الصَّلاة على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ويا أهل المناجاة، اللهَ اللهَ في الدُّعاء، والضَّراعة والالتجاء، ويا من بَعُدتم عن الله توبوا إليه، ويا من تركتم الفرائض عودوا إليها، ويا من عققتم الآباء وقطعتم الأرحام اليوم يوم البرِّ والوفاء، ويامن نسيت الخالق اليوم يوم الرجوع إليه ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: 15-17]

اللهم إنا نسألك أن تتلطف بإخواننا المتضررين وأن تحفظهم وتحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وشمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

والحمد لله رب العالمين